(٧٦) أحمد الجَريري[١]

ذكر الشيخ أبي محمد أحمد بن محمد الجَريري قدّس الله سرّه:

كان رحمه الله وحيدَ وقته، وحميدَ زمانه بين أقرانه، واقفًا على دقائق الطريقة، كاملاً في الآداب وأنواع الفنون من العلوم، مُفتيًا في الفقه وإمامًا فيه وفي علم الأصول، أستاذًا في علم الطريقة.

نُقل عن الجُنيد أنه قال لأصحابه: إنَّ أبا محمد الجريري هو خليفتي من بعدي. لأنه كان من أكثر أصحاب الجنيد.

وصحب سهلَ بن عبد الله التُّستري، وأُقعد بعد الجُنيد في مكانه، ومات سنة إحدى عشرة وثلاث مئة.

أقول: ونقل عن أبي عبد الله الشيرازي أنه قال: سمعتُ أحمد بن عطاء الرُّوذباري رحمهم الله يقول: ماتَ الجَريري رحمه الله، فجزتُ إليه بعد سنةٍ، فإذا هو مُستندٌ جالسٌ، وركبتُهُ إلى صدره، وهو مُشيرٌ إلى الله تعالى بأُصبعه. [والله أعلم].

نقل عن الجَريري رحمه الله أنه كان ذا أَدبٍ مع الله تعالى، حتى أنّه لم يَمدَّ رجلَه في الخلوة عشرين سنة، ويقول: حسنُ الأدب مع الله تعالى أَوْلى.

ونقل أنه رحمه الله أقام بمكّة سنةً، فما نامَ، ولا تكلَّمَ، ولا مدَّ رجله. قال

---

(١) طبقات الصوفية ٢٥٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٧، تاريخ بغداد ٤/ ٤٣٠، الرسالة القشيرية ٨٨، مناقب الأبرار ٥٠٨، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٧، المنتظم ٦/ ١٧٤، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٢٠، الكامل لابن الأثير ٨/ ١٤٥، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٦٧، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٧٨، البداية والنهاية ١١/ ١٤٨، طبقات الأولياء ٧١، نفحات الأنس ٢٠٩، طبقات الشعراني ١/ ٩٤، الكواكب الدرية ٢/ ٢٣.

له أبو بكر الكتاني: كيف أَطقتَ على ما فعلت؟ قال الجَريري رحمه الله: صدقُ الباطن وافقني حتى حصلتْ لي قوّةٌ في الظاهر.

ونقل أنه قال: اتّفقَ لي أن رأيتُ مرَّةً طيرًا أبيضَ، فنهضتُ لاصطياده أربعين سنة فما وجدته. قيل: وكيف كان؟ قال: صلّيتُ الظهرَ يومًا من الأيام، إذ جاءَ إلينا في الخانقاه فقيرٌ حافٍ أَشعثُ رثيثُ الحال، فتوضَّأَ وصلّى ركعتين، وأدخل رأسَهُ في جيبه، وكان في تلك الليلة دعوةٌ عند الخليفة للصوفية، وجاء رسولٌ من الخليفة يَدعونا إليه، فذهبتُ إلى الفقير، وعرضتُ عليه الحالَ، والتمستُ منه أن يُوافقني في الذهاب، فرفع رأسَه، وقال: ليسَ لي الليلةَ مجالُ صحبة الخليفة، لكن أشَتهي عصيدةً، فإنْ حصلتْ لي فيها، وإلاّ فأنتَ في خير. وجرَّ رأسَه في جيب خرقته، قال الجَريري: قلتُ في نفسي: هذا لا يُوافق الفقراءَ، ويَشتهي مُرادَ النفس، فلعلّه قريبُ العهد بالإسلام. فتركتُه، وذهبنا إلى الخليفة، وجرى ما جرى، ثم رجعنا، والفقيرُ بحاله ومُراقبته، فلمَّا نمتُ رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، ومعه شيخان، وخلفه خلقٌ كثيرٌ، فسألتُ شخصًا عن الشيخين، فقال: أحدُهما إبراهيم، والأخَرُ موسى عليهما السلام، والخلقُ هم جميعُ الأنبياء والمرسلين. فذهبتُ إلى النبيِّ عليه السلام، وسلّمتُ عليه، فلم يلتفتْ إليَّ، وأعرضَ عنّي، فقلت: يا رسولَ الله، ما ذنبي حتى أنَّك تُعرضُ عنّي بوجهك المبارك؟ فقال عليه السلام: لأنَّ وليًّا من أوليائنا نزل بك، واشتهى عصيدةً، وطلبَها منك، وأنت بخلتَ بها. قال: فانتبهتُ من النوم باكيًا، فسمعتُ صريرَ الباب، فإذا الفقيرُ قد خرجَ، فتبعته وقلت: يا عزيز، ارجعْ وتوقّفْ لحظةً حتى نصنعَ لك عصيدةً. فالتفتَ إليَّ وقال: أستحيي أن أستشفعَ بجميع الأنبياء والمرسلين وسيِّدِهم محمد عليهم السلام في تحصيل شهوةٍ للنفس. وذهبَ وما رجع.

نقل عن أبي محمد الجَريري رحمه الله أنه قال: كان فقيرٌ في جامع بغداد يكتفي بقميصٍ واحدٍ في الصيف والشتاء، فسُئل عن حاله، فقال: رأيتُ في المنام أنّي دخلتُ الجنَّةَ، ورأيتُ فيها جماعةً على مائدةٍ، فقصدتُهم، وأردتُ أن

أجلسَ عندهم، فأمسك مَلَكٌ بيدي، ومنعي عنهم، وقال: لستَ أنت منهم؛ فإنّهم قومٌ لم يكن لهم غيرُ قميصٍ. فانتبهتُ، وألزمت نفسي بأن لا ألبسَ صيفًا وشتاء إلاّ قميصًا.

نقل أن أبا محمد الجَريري رحمه الله كان مَشغولاً بالوعظ، إذ قامَ شابٌّ وقال: يا شيخ، ضاع قلبي عنّي، فادعُ اللهَ لعلّه يردُّه عليَّ. فقال الجريري: ونحن أيضًا في هذه المصيبة.

ونقل أنه قال: أهلُ القرن الأول كانوا يُعاملون بالدِّين، فلمّا انتقلوا، اختلَّ أمرُ الدِّين، وأهلُ القرن الثاني مُعاملتهم بالوفاء، فلمّا ذهبوا قلَّ الوفاء، والقرن الثالث أهلُه عاملوا بالمروءة، فلمّا ارتحلوا ما بقيتِ المروءة، وأهلُ القرن الذين بعدهم عاملوا بالحياء، فذهبَ الحياءُ بذهابهم، والناسُ في زماننا يُعاملون بالهيبة.

وقال: من استولتْ عليه النفسُ صار أسيرًا في حكم الشهوات، محصورًا في سجن الهوى، وحرَمَ اللهُ على قلبه الفوائد، فلا يستلذُّ بكلام الحقِّ، ولا يستحليه[1] وإن كثرَ ترداده على لسانه، لقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقال: من لا يلتذُّ بكلام الحقِّ، فلا جرمَ أنّه لا تُستجاب له دعوة.

سئل [عن الصبر والتصبُّر]، فقال: [التَّصبُّرُ] هو معاينةُ الاضطرار، والصبرُ هو أن لا تفرّقَ بين حالِ النِّعمة والمحنة، وتجدَ اطمئنانَ نفسِك في الحالتين[2].

وقال: الإخلاصُ ثمرة اليقين، والرياءُ ثمرةُ الشكِّ.

وقال: العزلةُ هي الخروجُ عن كلِّ تعبٍ، وكتمانُ السرِّ إن لم يرحم عليك.

وقال: دوامُ الإيمان، ومحافظةُ الدين، وصلاحُ الجسد في ثلاثةٍ: الاكتفاءُ بما رزقَهُ اللهُ تعالى، والاحترازُ عمّا نهى الله تعالى، وتقليل الغذاء.

---

(١) في الأصل: ولا يستحيله.

(٢) الرسالة القشيرية ٢٨٨ (الصبر)، مناقب الأبرار ٥١٣ وما بين معقوفين مستدرك منهما.

وقال: رؤيةُ الأصول باستعمالِ الفروع، وتصحيحُ الفروع بمعارضة الأصول ـ أي بعرضها على الأصول ـ ولا سبيلَ إلى مُشاهدةِ الأصول إلاّ بتعظيم الفروعِ والوسائط التي عظّمها الله تعالى.

وقال: من أحيا الله تعالى قلبَهُ بأنواره، فلا يُميته أبدًا، ومن أماتَ قلبَه بخذلانه، فلا يُحييه أبدًا.

رحمه الله وأسكنَهُ في أعلى فراديس جنانه، ورزقَ لقلوبنا حياةً طيبة لا نموت بعدها، ومنَّ علينا بمعيشةٍ هنيئة لا نبأسُ معها، إنَّه وليُّ الإجابة، وصلّى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلّم تسليمًا.

* * *